والنزعة المغرقة في المثالية التي تطبع هذه المدرسة واضحة جدا ، اذ ان افكارها في الدفاع عن الشتات ورسالة الشعب اليهودي الموزع في كافة انحاء العالم ليست الا ترجمة للاسطورة الدينية القديمة حول « الشعب المختار » الى لغة علمانية تناسب معطيات العصر ، ومحاولة لتبرير وضع وسطي قائم (تجد قطاعات من الانتلجنسيا نفسها فيه) على عدم مقاومة الصهيونية عن طريق الكفاح ضدها فكريا وعمليا من ناحية ، وعدم الالتزام بها والعمل معها من ناحية اخرى . كما ان نظرية هذه المدرسة في كون اليهود « اهل الكتاب » ، بالمعنى المشار اليه اعلاه ، لا تستند الى اي واقع حقيقي وهي ليست الا عملية تجميل مثالية تبريرية لارتباط اليهود تقليديا بالقطاعات العلوية من البناء الانتاجي للمجتمع ، مما يعني كثافة نشاطهم في قطاعات العمل الذهني والانتاج الفكري . انطلاقا من مواقعها الفكرية المذكورة تحاكم هذه المدرسة الحركة الصهيونية بشيء من التفصيل . على سبيل المثال كتب موريس كوهن مباشرة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ما معناه انه بالرغم عن ان ملايين من اليهود يعانون من الجوع والحرمان في اوروبا لا بد من توجيه النقد الى فكرة اقامة « وطن » او « ملجأ » لليهود في فلسطين لان الصهيونية ليست جمعية خيرية هدفها مساعدة المشردين كي يجدوا مأوى لانفسهم بل تدعي انها تشكل الحل الجذري للمسألة اليهودية (ولا يريد كوهن للمسألة ان تحل عن طريق تصفية الشتات كما تدعو الى ذلك الصهيونية) ، كما يقول هذا المفكر ان تشديد الصهيونية على فلسطين كوطن لليهود يقوم على ايديولوجية قومية تشكل تحديا لكل انسان ما زال يؤمن بالمثل الليبرالية . كذلك يتهم كوهن المفكرين المرتبطين بالصهيونية بالسير في خطى القومية الصوفية الرومانسية التي نشأت في المانيا كرد فعل ضد ليبرالية الثورة الفرنسية وايمانها بالعقل والتنور في مواجهة الارث الثقافي للعصور الوسطى. كما يشدد في اعتراضه على الصهيونية ومشاريعها على ان قيام دولة قومية يهودية في فلسطين يعني بالضرورة دولة قائمة على العنصرية والقبلية في التدين والاعتقاد الصوفي بأرض معينة بينما تفرض التقاليد الليبرالية عكس كل هذه الاشياء . وهو يشبه اهمال الصهيونية لحقوق الاكثرية العربية في فلسطين بالسلوك الجرماني الذي يعتقد بتفوق ثقافته وحضارته على بقية العالم (ص ٦٦) . أي تعطينا آراء كوهن نموذجا جيدا عن هذا المزيج من الالتزام بالمبادىء والمثل الليبرالية من ناحية والاعتقاد بالدور الخاص الذي يقوم به اليهود في الشتات وضرورة استمراره من ناحية اخرى ، وكيف يؤدي هذا المزيج الى نوع معين من المعارضة للصهيونية على الطريقة التي شرحتها اعلاه . وميزة الكتاب الذي نحن بصدده هي انه يعطينا افضل تعبير عن هذا الاتجاه الفكري في أوساط الانتليجنسيا اليهودية الغربية عن طريق جمع زبدة الكتابات التي صدرت عن هذه المدرسة منذ اواخر القرن التاسع عشر حتى ما بعد الحرب العالمية الثانية .

صادق جلال العظم